استاذ المقياس: د/ إبراهيم هياق المقياس: منهجية البحث في علم الاجتماع 01

المستوى: السنة الثانية علم الاجتماع المحاضرة: 05

ثانيا:مرحلة القطيـــعة(03)

الإشكـــــــالية

تمهيد:

تم التطرق في المرحلتين السابقتين(السؤال الاولي+مرحلة الاستكشاف)،إلى تحديد السؤال الانطلاقي وشروط صياغته كموجه لبناء تصور لإشكالية البحث السوسيولوجي يتغذى هذا السؤال ويُحسن بفضل مرحلة الاستكشاف من خلال القراءات والمقابلات الاستكشافية،من أجل وضع مقاربة أو تصور نظري لكيفية معالجة المشكلة المطروحة عبر السؤال الإنطلاقي،وهي مرحلة هامة بين مرحلتي القطع والبناء،فصياغة اشكالية تتميز بالدقة والوضوح يتجلى ذلك في مراحل البناء وإن كان العكس جاءت مراحل البناء تتسم بالسطحية وعدم الارتباط،مما يعرض مسار البحث إلى الفشل.سنتناول في هذه المحاضرة مفهوم اشكالية البحث ومراحل بناء الاشكالية.

1-تعريف اشكالية البحث:

يعرفها قاموس "le Petit Robert" هي "فن طرح المشكلات" أي من خلالها يمكن للباحث أن يحدد جوهر بحثه،أما موريس أنجرس فيرى فيها" مصدر التساؤل عندنا،وهي التي تشعرنا بالفراغ الذي يجب علينا أن نسده،وتحثنا في نفس الوقت على التوجه نحو الاكتشاف." (أنجرس،موريس، 2004، صفحة 120).كما أنها تُشكل شعور الباحث بحيرة أو غموض تجاه موضوع معين. (غرايبة، 1977، صفحة 19).

ويعترض "فريديريك معتوق" على تسمية الإشكالية ويطرح "المسألية" بدلا عنها،والتي يقول عنها أنها ليست شيئا محددا في الظاهرة يمكن ضبطه ماديا وبشكل ملموس،بل إنها مسار الظاهرة وحركتها الداخلية،ويمكن أن نشبهها بحركة الساعة،فالمسألية ليست لا العقارب ولا المسننات ولا الخيوط ولا قطع

الماس الصغيرة التي تكون الساعة،إنها حصيلة هذه العناصر مجتمعة..بل إن المسألية تشمل جميع العناصر المكونة للظاهرة في فاعليتها وليس في حالة سكونها." (سفاري،وآخرون، 1999، الصفحات 73-74).

أما "عبد الله ابراهيم" فيفرق بين المشكلة والإشكالية،مستخدما مصطلح المسألة البحثية والمسألية البحثية،حيث تعتبر مسألة البحث(problème de recherche) المضمون النظري للعالم النظري الضيق من المفاهيم وأبعاد المفاهيم،الذي يجري البحث فيه حصرا،أما مسألية البحث(Problématique)،فهي المنظور النظري للعالم النظري الضيق من المفاهيم وأبعاد المفاهيم،الذي يجري البحث فيه حصرا. (عبد الله ابراهيم، 2008، صفحة 82).

وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه"ريمون وكمبنهود" في تعريف إشكالية البحث "المقاربة أو المنظور الذي نعتمده لمعالجة المسألة التي يطرحها السؤال الاولي،وهي طريقة في مساءلة الظواهر المدروسة" (ريمون كيفي، 1997، صفحة 128).

إن مشكلة البحث هي تلك اللحظة التي تعتري الباحث بوجود جملة من التساؤلات الغامضة في ذهنه حول موضوع معين،وهي الأساس الذي ينطلق منه الباحث في مهمة البحث العلمي،وعلاقة مشكلة البحث بالإشكالية أو مسألة البحث بالمسألية هي علاقة الجزء بالكل،ففي الإشكالية يتم إعادة صياغة مشكلة البحث من منظور جديد أو مقاربة لمعالجة المسألة البحثية،نتيجة المرحلتين السابقتين من مرحلة القطيعة(سؤال الإنطلاق+ الاستكشاف).

2-مراحل بناء الإشكالية

يعتبر بناء اشكالية البحث خاتمة المرحلة الأساسية في البحث العلمي،بعد انجاز سؤال انطلاقي موجه لاشكالية البحث والقيام بالقراءات والمقابلة الاستكشافية،يتجلى في ذهن الباحث موضوع بحثه،ويرسم معالم إطار موضوع البحث الذي سيتم استخدامه كمرجع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة،في توجيه مسار البحث ومدى موائمة هذا الإطار النظري.ويتم ذلك من خلال المراحل الآتية:

المرحلة الاولى: تصور الإشكالية

وفي هذه المرحلة يقوم الباحث بحصر كل ما يتعلق بموضوع بحثه،محددا المداخل المتنوعة لمشكلة البحث،وهذا يتطلب جهدا من الباحث في الفحص والتدقيق في كل وجهات النظر القائمة حول موضوع البحث،ثم تصنيفها حسب معايير الاتفاق أو الاختلاف أو التكامل،حيث يباشر الباحث دراسة ومقارنة مضامين الدراسات والنصوص التي تحمل العديد من وجهات النظر،تفيد الباحث في "التنبه إلى جوانب من المسألة لم يكن متحسسا بها في مستهل بحثه" (ريمون كيفي، 1997، صفحة 111).

يكون محصلة هذا المجهود من الباحث اثراء الجوانب المعرفية لدى الباحث حول هذا الموضوع،مما يسهم في تبني الباحث لإشكالية خاصة بالبحث ووضع الاطار النظري الذي يعتمده خلال مسار البحث،ولتوضيح أهمية هذه المرحلة نورد المثال الآتي:

عند دراسة "دوركايم" لظاهرة الإنتحار من خلال ما توفر لديه من نصوص،تجعل من ظاهرة الإنتحار نهاية تعيسة لصيرورة من اليأس عند الفرد المنتحر ،وهذه المقاربة التي يتبناها علماء النفس وكانت سائدة لفترة ليست بالوجيزة،غير أن "دور كايم"عندما قرر البحث في موضوع الانتحار قادته عملية تصور المشكلة من خلال البحث في كل النصوص المتوفرة ومحاولة رسم إطار نظري للظاهرة،لاحظ غياب دور المجتمع في حدوث هذه الظاهرة،وأن الدراسات التي سبقته كانت تركز على الجوانب النفسية للفرد،ومن هنا حدد إطاره النظري بدراسة الانتحار كواقعة اجتماعية لها خصوصيتها(التماسك الاجتماعي ودور الدين في ذلك)،بحيث لا يمكن أن يفسر الانتحار فقط بشكل فردي من خلال عدد المنتحرين بدوافع خاصة،بل يجب أن يكون للمرتكز الاجتماعي حضوره في الدراسة،ومن هنا ولد التصور الجديد لإشكالية البحث في موضوع الانتحار عند دوركايم.

وفي المثال الثاني والذي يتعلق بالتعليم والذي يوضح أثر انجاز تصور اشكالية البحث انطلاقا من هذه المرحلة.

عند دراسة موضوع التسرب المدرسي،نجد أنفسنا أمام مشكلة تؤرق كل المهتمين بالتربية،والسؤال الإنطلاقي الذي يسعى الجميع للبحث عن اجابة علمية عليه هو: ما هي أسباب التسرب المدرسي؟؟

إن طرح هذا السؤال بهذا الشكل ينطوي على مخاطر يجب على الباحث الانتباه والحذر،فالسؤال يجب أن يصاغ ضمن المفاهيم الخاصة والمؤطرة للمدخل المختار،وهنا نستأنس بالقراءات والمقابلات الاستكشافية،لحصر المداخل النظرية التي تناولت الجوانب المنهجية خلال سيرورة هذا الموضوع.

قالبحث في الأسباب لا يؤدي عند الجميع إلى فهم الظاهرة المدروسة،فتحديد الأسباب المؤدية لظاهرة التسرب المدرسي لا تحقق فهما للظاهرة بشكل جلي،هذا ما يتبناه أصحاب نظرية الفهم،فعند "ماكس فيبر"وأصحابه تُفسر الظواهر الاجتماعية على أساس المعنى الذي يعطيه الأفراد لإفعالهم،وهنا عند تغير المدخل أو المقاربة لمساءلة الظاهرة،يصبح من الضروري تكيف السؤال الانطلاقي مع ذلك،لأنه الموجه لإشكالية البحث،والتي بالضرورة يجب أن يتضمن مشكلة البحث الرئيسية،وفي هذا المثال،يجد الباحث مدخلين لتفسير ظاهرة التسرب،اعتمادا على المدخل الوضعي في تفسيره السببي للظاهرة واعتبار تحديد الأسباب المؤدية لظاهرة التسرب المدرسي كافية لفهم وتشخيص الظاهرة،ومدخل الفهم الذي يرى قصورا في فهم الظواهر الاجتماعية من خلال الاعتماد على البحث في الأسباب،هذا من جهة ومن جهة اخرى لو انتقل الباحث إلى مقاربة تفسير الظاهرة على أساس المكانة الاجتماعية والتفاضل بين الطبقات وعدم تكافئ الفرص في الحصول على التعليم،سيكون لنظرية اعادة الانتاج الثقافي "لبورديو" مقاربتها حول الموضوع.

المهم في ما تم استعراضه في هذه الخطوة من مراحل بناء الاشكالية ليس بهدف اختيار مقاربة أو منظور منهجي لمساءلة مسألة بحثية بعينها،أو التحيز لمقاربة منهجية بذاتها،بل ليكون الباحث واعيا بأهمية هذه المرحلة في بناء اشكالية البحث وخاصة إذا لم يتم مراعاة الضوابط الأساسية في صياغة سؤال الإنطلاق،تكون هذه المرحلة حاسمة في تقويم اشكالية البحث،وإلا كانت كل الخطوات اللاحقة مشوبه بعدم الانسجام والسطحية،فالسؤال الانطلاقي يكون دوما حاضرا في ذهن الباحث ومسار بحثه لأنه هو الموجه لإشكالية البحث. "إن اختيار الإشكالية لا يرتبط إذن بالصدفة أو فقط بالإلهام الشخصي للباحث. هذا الأخير هو بحد ذاته جزء من عصر مع ما في هذا العصر من مشكلات، وأحداث بارزة، ومناقشات وتحسسات، وتيارات فكرية تتطور،إن البحث في العلوم الإجتماعية يسهم في توليد هذه العناصر المختلفة للسياق، وهو بالمقابل يتأثر بها.ومن مسؤولية الباحث أن يوضح، على الوجه الأفضل

مداخل المنظورات التي تتبدى له ومخارجها،أكثر من ذلك، إن هذا الأمر شرط من شروط الإبداعية الأصيلة. (ريمون كيفي، 1997، صفحة 119).

المرحلة الثانية: توضيح الاشكالية

وفي هذه المرحلة يقوم الباحث بتحديد اشكالية بحثه بوضوح ووعي تام بكل ما يتطلبه ذلك،من اعتماد الإطار النظري الذي يناسب مسألة البحث،ويكون الباحث قادرا على التحكم فيه بشكل كاف،وهنا أيضا تتأكد وتتضح الزاوية التي يرغب الباحث في معالجة موضوع بحثه من خلالها،ووصفه الدقيق للإطار النظري وتحديده لمفاهيمه الأساسية ومقولاته وأنساقه المعرفية وأطره التفسيرية "بفضل هذه التوضيحات والتعميقات المتتالية سيغدو السؤال الأولي حقا السؤال المركزي للبحث وسيتلخص فيه هدف البحث " (ريمون كيفي، 1997، صفحة 128).

تشكل القطيعة صياغة السؤال الأولي، والمقابلات الإستكشافية،وتوضيح الإشكالية،هذه المراحل الثلاث في حالة من التفاعل الوثيق بينها،فهي كل مرحلة هي بناء وأساس لسابقتها،وفي نفس الوقت تستمد منها الاستمرارية،هذه المراحل تتفاعل باستمرار في عملية هي دائرية ولولبية أكثر ما هي خطية بشكل دقيق،حتى وأن بدت منفصلة ومجزأة إلى مراحل مميزة،وإنما دعت لذلك ضرورة العرض والتوضيح ليسهل الفهم والاستيعاب. والخطوط الإرتدادية التي ترتد صعودا من مرحلة إلى سابقتها تبين هذه العملية الدائرية والتي تكون اللبنة الأساسية للمرحلة اللاحقة من انجاز البحث العلمي(بناء نموذج التحليل). كما هو واضح في الرسم التالي: (ريمون كيفي، 1997، صفحة 127).